PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

الفجوة الشبكية للأجيال الجديدة في بيئة ما بعد الإعلام الجديد
مقاربة سوسيولوجية في ظل أفكار روبرت بوتنام (دراسة ميدانية كيفية)

The Network Divide of New Generations in a Post-New Media Environment: A Sociological Approach Based on the Ideas of Robert Putnam

مختار قايدي

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي-تبسة-الجزائر. mokhtar@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 31/ 05 / 2026 تاريخ القبول: 29/ 07 / 2026 تاريخ النشر: 31/ 07 / 2026

ملخص:

تستهدف هذه الدراسة تفكيك آليات إعادة إنتاج اللامساواة الطبقية والفجوة المعرفية/العلاقية بين الأجيال الجديدة في بيئة "ما بعد الإعلام الجديد(Post-New Media) "، بالتطبيق على أطروحة عالم الاجتماع الأمريكي "روبرت بوتنام" حول "الوسائد الهوائية (Airbags) "وأزمة تكافؤ الفرص. اعتمدت الدراسة على المقاربة المنهجية المختلطة بتوظيف المنهج المقارن، وتطبيق أداة المقابلة المتعمقة مع عينة قصدية تنوعت سوسيولوجياً ومجالياً شملت (15 حالة) من أولياء الأمور مقسمين بين بيئتين: أسر الحضر الميسورة (ذات الرأسمال الثقافي العالي)، وأسر المناطق الهامشية والحدودية .خلصت الدراسة إلى أن التكنولوجيا لم تعد مجرد أداة تقنية محايدة، بل تحولت إلى بيئة خوارزمية نشطة تُعمّق التمايز الطبقي. وتوصلت النتائج إلى انقسام مجتمع الدراسة إلى فئتين: فئة تمتلك "وسائد هوائية رقمية (Digital Airbags) "ممثلة في الوعي الأسري والمرافقة الذكية وتوجيه الخوارزميات لبناء رأسمال اجتماعي منتج(LinkedIn, GitHub) ، وفئة أخرى تعاني من "اليُتم الرقمي والخوارزمي "في هوامش المجتمع، حيث تلتهم خوارزميات الترفيه السطحي وقت المراهقين.

الكلمات المفتاحية: بيئة ما بعد الإعلام الجديد، الوسائد الهوائية الرقمية، اليُتم الرقمي، اللامساواة الخوارزمية.

Abstract:

This study aims to deconstruct the mechanisms that reproduce class inequality and the knowledge/relational gap between new generations in the post-New Media environment, applying this to the thesis of American sociologist Robert Putnam on "airbags" and the crisis of equal opportunity. The study adopted a mixed-methods approach, employing comparative methodology and in-depth interviews with a sociologically and geographically diverse sample of 15 parents from two environments: affluent urban families (with high cultural capital) and families in marginalized and border regions. The study concluded that technology is no longer merely a neutral technical tool, but has transformed into an active algorithmic environment that deepens class differentiation. The findings revealed a division within the study population into two categories: one possessing "digital airbags"—represented by family awareness, intelligent mentorship, and algorithmic guidance for building productive social capital (LinkedIn, GitHub)—and another suffering from "digital and algorithmic orphanhood" on the margins of society, where superficial entertainment algorithms consume teenagers' time.

Keywords: *Post-New Media Environment, Digital Airbags, Digital Orphanhood, Algorithmic Inequality.*

I. مقدمة

يشهد الفضاء الإعلامي المعاصر تحولاً جذرياً مع الانتقال من "الإعلام الجديد" إلى بيئة **ما بعد الإعلام الجديد (Post-New Media)**، حيث لم تعد التكنولوجيا مجرد أدوات لنقل البيانات، بل بيئة خوارزمية ذكية تعيد تشكيل الروابط الإنسانية وسلوكيات الأفراد(boyd, 2014, p. 45)

وفي هذا السياق، لم يعد التفاوت بين الأجيال الجديدة يقتصر على "الفجوة الرقمية التقليدية" المرتبطة بامتلاك الأجهزة، بل انتقل إلى **"الفجوة الخوارزمية والاستخدامية"**، أي كيف تساهم التكنولوجيا في إعادة إنتاج اللامساواة الطبقية (Dijk, 2020, pp. 82-105)

انطلاقاً من أطروحة عالم الاجتماع الأمريكي روبرت بوتنام (Putnam, 2015, pp. 112-135) في كتابه الفارق *"أطفالنا: الحلم الأمريكي في أزمة"* ، يبرز مفهوم **"الوسائد الهوائية (Airbags) "**كآلية اجتماعية غير مرئية تحمي أبناء الطبقات الميسورة والواعية من الصدمات والتراث السلوكية، بينما يفتقر إليها أبناء الطبقات الهامشية. وعند إسقاط هذا المفهوم على البيئة الإعلامية الحالية، نجد تبلور ما يمكن تسميته بـ **"الوسائد الهوائية الرقمية(Digital Airbags)** ، والتي تتمثل في الوعي الإعلامي الأسري، والإشراف الوالدي الذكي، وتوجيه الخوارزميات نحو صناعة رأس مال اجتماعي ومعرفي (منصات التعليم، البرمجة، والشبكات المهنية)

في المقابل، يقع أطفال ومراهقو البيئات الهامشية (كالمناطق الحدودية والفقيرة) في حالة **"يُتم رقمي وخوارزمي"**، حيث تلتهمهم خوارزميات الترفيه السطحي وغرف الصدى المغلقة التي تكرس عزلتهم وتجعلهم صيداً سهلاً للانحراف الرقمي والواقعي (boyd, 2014, p. 95) .

II. الإشكالية

بناءً على ذلك، تتمحور إشكالية الدراسة حول السؤال الرئيسي التالي:**كيف تساهم "الوسائد الهوائية الرقمية" في تعميق الفجوة العلاقية والمعرفية بين الأجيال الجديدة في بيئة ما بعد الإعلام الجديد، وكيف يعيد الإعلام الخوارزمي إنتاج اللامساواة الطبقية من منظور أطروحة روبرت بوتنام؟**

III. الهدف من الدراسة

1. تفكيك الأبعاد السوسيولوجية لبيئة ما بعد الإعلام الجديد وتأثير خوارزميات التوصية على صياغة الاهتمامات السلوكية للشباب.
2. عولمة ومأسسة أفكار روبرت بوتنام خاصة كتاب Our Kids وتطبيقها على الواقع الرقمي المعاصر.
3. رصد طبيعة "الوسائد الهوائية الرقمية" المتاحة للأسر، وكيف يتحول غيابها إلى بيئة حاضنة للانحراف والوقوع في شباك السلوكيات الوافدة.

أولا: المقاربة المفاهيمية والتطور النظري

في نهاية القرن العشرين (عام 2000)، لاحظ بوتنام أن الناس لا زالوا يمارسون رياضة البولينج، لكنهم لم يعودوا يمارسونها في شكل "دوريات" أو فرق منظمة بل يمارسونها "منفردين". هذا المؤشر البسيط كان دليلاً على انهيار البنية التحتية للحياة الاجتماعية والمدنية.قدم روبرت بوتنام أطروحته الشهيرة لتفسير تراجع المشاركة المدنية والروابط الاجتماعية في المجتمع الأمريكي. ومع ظهور الويب 2.0 ومواقع التواصل الاجتماعي، اعتقد سوسيولوجيو الإعلام أن أطروحة بوتنام قد انتهت، وأن التكنولوجيا أعادت بناء رأس المال الاجتماعي. واليوم يرى الكثير من المحللين أن وسائل التواصل الاجتماعي لم تحل الأزمة، بل أخذت ظاهرة "البولينج منفردًا" إلى مستوى أعمق وأكثر خطورة مما يجعل افكار بوتنام تعود للواجهة مة أخرى. باختصار، بدلاً من أن يلعب الناس البولينج منفردين في الصالات، أصبحوا يجلسون منفردين خلف الشاشات، مما يعزز أطروحة بوتنام بدلاً من إلغائها.

1.التحول المفاهيمي

يمثل الانتقال المفاهيمي في فكر عالم الاجتماع السياسي الأمريكي روبرت بوتنام (Robert Putnam) تحولاً عميقاً في كيفية فهمه وتوظيفه لمصطلح الرأسمال الاجتماعي.(Social Capital) لقد انتقل بوتنام من التركيز على الرأسمال الاجتماعي بوصفه "ميزة مجتمعية وسياسية" تُقاس بمدى حيوية الديمقراطية إلى اعتباره "أداة لإعادة إنتاج الفوارق الطبقية" وتعميق الفجوة بين الأسر. والسياسية(Putnam, 2000, p. 92) إلى الأبعاد الطبقية والأسرية(Putnam, 2015, p. 135)

2. بيئة ما بعد الإعلام الجديد

تحمل بيئة **"ما بعد الإعلام الجديد (Post-New Media Era) "**تحولات عميقة تتجاوز مجرد التفاعل الرقمي الكلاسيكي إلى مرحلة الهيمنة الكاملة للخوارزميات والذكاء الاصطناعي التوليدي. هذه البيئة تعيد تشكيل التنشئة الاجتماعية والبنية المعرفية للأطفال، حيث لم يعد الطفل مجرد مستهلك أو "مستخدم"، بل أصبح شريكاً تفاعلياً وموضوعاً للتشكيل الخوارزمي المستمر.

ثانيا: هندسة اللامساواة الرقمية وتآكل الجسور الاجتماعية

لم تعد "اللامساواة الرقمية" مجرد فجوة في إمكانية الوصول إلى الإنترنت أو امتلاك الأجهزة (الفجوة الرقمية من الجيل الأول)، بل انتقلت لتصبح "لامساواة في العوائد والممارسات والشبكات) "الفجوة من الجيلين الثاني والثالث). هنا تتدخل البيئة التكنولوجية كبنية نشطة تُهندس التفاعلات، فهي لا تكتفي بحبس فئات معينة لا سيما المراهقين والشباب داخل "فقاعات تصفية" خوارزمية (Filter Bubbles) تقضي على رأس المال الاجتماعي المنفتح(Bridging) ، بل إنها تُعمّق التمايز الطبقي والمعرفي عبر فرز مستخدمي الفضاء الرقمي إلى فئتين: فئة تراكم رأسمالاً اجتماعياً رقمياً منتجاً يفتح لها آفاق الترقي الطبقي والمعرفي، وفئة أخرى تُستنزف داخل رأسمال استهلاكي سلبي يعيد إنتاج تهميشها الاقتصادي والمعرفي تحت غطاء "الترفيه اللحظي."

1-تحول التيك توك والمنصات التفاعلية

إن المنصات التفاعلية لم تعد مجرد "أدوات تواصل" مساهمة في بناء شبكات ممتدة، بل تحولت إلى بنى تكنولوجية نشطة تعيد صياغة العلاقات. لقد استبدلت الانفتاح العفوي على "الآخر المختلف" بروابط مصطنعة ومغلقة ومحسوبة رياضياً، تغذي "العقلية الإلكترونية" المنعزلة بدلاً من تعزيز رأس المال الاجتماعي المشترك. "فالجسور الاجتماعية (Bridging) "المنفتحة تحولت إلى "روابط مغلقة (Algorithmic Bonding) تحبس المراهق في فقاعة تصفية (Filter Bubble) تمنعه من الارتقاء المعرفي(Pariser, 2011, p. 63) .

2- التفاوت بين "الرأسمال الاجتماعي الرقمي المنتج" (الشبكات المهنية والعلمية) و"الرأسمال الاستهلاكي السلبي" (منصات البث المباشر والألعاب الرقمية)

يرتبط هذا التفاوت بنيوياً بإعادة إنتاج اللامساواة، حيث يتحول نمط الاستخدام الرقمي إلى أداة لفرز وتصنيف الأفراد اجتماعياً ومعرفياً، ويمكن تفكيك هذا التفاوت عبر الأبعاد التالية:

1.2-الرأسمال الاجتماعي الرقمي المنتج (الشبكات المهنية والعلمية)

يمثل هذا النمط الامتداد الرقمي لما أسماه عالم الاجتماع "بيير بورديو" برأس المال الاجتماعي والرمزي. في هذا النطاق (مثل منصاتLinkedIn ، والمجتمعات العلمية البرمجية كGitHub ، والمنصات الأكاديمية)، يُستخدم الإنترنت كأداة "للاستثمار الاستراتيجي."

هنا، تساهم الخوارزميات (التي توجهها سلوكيات واعية) في بناء "جسور اجتماعية عابرة للجغرافيا " (Bridging Capital)تربط المستخدم بنخب معرفية، وتتيح له تبادل الخبرات، والحصول على فرص عمل، وتطوير المهارات. هذا النمط الاستخدامي يتطلب مهارات نقدية وعقلية نشطة، ويؤدي مباشرة إلى "الارتقاء المعرفي والطبقي"، مما يجعل الاستهلاك الرقمي هنا "استهلاكاً رأسمالياً استثمارياً" يُولد قيمة مضافة مادية ومعنوية.

2.2- الرأسمال الاستهلاكي السلبي (البث المباشر والألعاب الرقمية)

في المقابل، يقبع "الرأسمال الاستهلاكي السلبي" في فضاءات البث المباشر العشوائي (مثل جولات التيك توك وارتجال المحتوى الهابط) ومنصات الألعاب الإدمانية. في هذا الفضاء، يجري استغلال "اقتصاد الانتباه " (Attention Economy)لتبديد الوقت والجهد العقلي.

المستخدم هنا ليس مستثمراً، بل هو **"المُنتَج "**الذي تباع بياناته وانتباهه للمعلنين. العلاقات المتولدة في هذه البيئات هي "روابط وهمية" أو علاقات أحادية الجانب (Parasocial Interactions) مع صناع المحتوى، لا تمنح المستخدم أي ثقل مهني أو معرفي حقيقي، بل تحبسه في حلقة مفرغة من إفراز الدوبامين اللحظي.

ثالثا: تجليات "الوسائد الهوائية الرقمية (Digital Airbags) "وآليات الحماية

يُمثل مفهوم "الوسائد الهوائية الرقمية" (Digital Airbags) أحد أبرز المفاهيم المستحدثة في بيئة ما بعد الإعلام الجديد وسوسيولوجيا الطفولة الرقمية. ويُقصد بها: مجموعة الاستراتيجيات، والآليات (التقنية،المعرفية والتشريعية) التي تتدخل بشكل استباقي وتلقائي لحماية البنية المعرفية والنفسية للطفل عند حدوث "اصطدام" أو تعرض لتدفقات خوارزمية عنيفة أو مضللة، تماماً كما تنتفخ الوسادة الهوائية في السيارة لحماية السائق عند الحوادث. في ظل "العزلة الخوارزمية" واقتصاد الانتباه، لم يعد كافياً الاعتماد على الرقابة الأبوية التقليدية، بل أصبح من الضروري تفعيل هذه الوسائد عبر مستويات متعددة:

1- التجليات التقنية للوسائد الهوائية (الحماية البرمجية المستندة للذكاء الاصطناعي)

تتحول التكنولوجيا هنا من أداة للمحاصرة الخوارزمية إلى أداة للحماية الذكية من خلال:

كوابح اقتصاد الانتباه (Attention Brakes): خوارزميات مضادة يتم دمجها في نظام تشغيل الأجهزة لكسر حلقة التمرير اللانهائي (Infinite Scroll) تلقائياً، وفرض "فترات هدوء معرفي" إجبارية تُعيد للطفل توازنه الدوباميني.

فلاتر الحقيقة والوسم التوليدي الذاتي (Auto-Labeling): وسائد برمجية تكتشف فوراً المحتوى البصري أو السمعي المُولد عبر الذكاء الاصطناعي (Deepfakes) وتضع عليه وسماً واضحاً للطفل (مثلاً: "هذه الصورة صنعتها الآلة وليست حقيقية"). هذا الإجراء يمنع تشوه الإدراك البصري والسيولة المعرفية لديه.

جدران الحماية الوجودية (Ontological Firewalls): برمجيات تمنع روبوتات المحادثة التوليدية (Chatbots) من محاكاة العواطف البشرية العميقة مع الأطفال، وتلزم الآلة بتقديم هويتها الاصطناعية بشكل مستمر لمنع حدوث "الأنيميزم الرقمي" (الارتباط العاطفي المشوه بالآلة).

2. التجليات المعرفية والتربوية (التربية الخوارزمية النقدية)

الوسادة الهوائية الأقوى هي تلك التي يتم بناؤها داخل البنية المعرفية للطفل نفسه ليصبح محصناً ذاتياً:

تنمية مهارات الميتا-معرفة (Meta-Cognition): تدريب الطفل على فهم "لماذا يرى هذا المحتوى بالذات؟" (تفكيك اللعبة الخوارزمية)، ليدرك أن ما يظهر أمامه ليس العالم الحقيقي، بل هو فخ لسرقة انتباهه، مما يحوله من متلقٍ مستسلم إلى فاعل نقدي.

بناء التفكير الفلسفي والشك المنهجي: إحياء مهارات المساءلة والمقارنة كبديل لـ "اليقين الزائف" الذي تقدمه روبوتات الذكاء الاصطناعي، بحيث يتعلم الطفل ألا يقبل إجابة جاهزة دون معرفة مصادرها وخلفياتها.

توطين "الديتوكس الرقمي" (Digital Detox) كممارسة اجتماعية: إعادة الاعتبار للأنشطة الفيزيائية والتفاعل البشري المباشر (الروابط التلاحمية والتجسيرية في بيئته الواقعية) لترميم شظايا الانتباه وتنمية الذكاء العاطفي الطبيعي.

3. آليات التفعيل والمواجهة (منظومة الحماية المتكاملة)

لتتحول هذه "الوسائد الهوائية" من مجرد أفكار نظرية إلى آليات تطبيقية لحماية الطفولة، يجب أن تتكامل الأدوار ضمن:

- المستوى التشريعي والسياسي: فرض قوانين صارمة على الشركات
- المستوى التقني والبرمجي: هندسة خوارزميات صديقة للطفل
- المستوى الأسري والتربوي: التربية الخوارزمية النقدية

1.3. آليات تشريعية وسياسية (حكومية)

- إلزام شركات التكنولوجيا الكبرى بهندسة خوارزميات "صديقة للطفل" (Design by Child-Safety) قائمة على الشفافية الخوارزمية وليس على تعظيم الأرباح واحتكار الانتباه.
- تشريع قوانين تمنع الاستهداف السلوكي والنفسي للأطفال عبر البيانات البيومترية أو البصمات الرقمية.

2.3. آليات تربوية ومؤسساتية (المدرسة والأسرة)

- إدراج "المواطنة الخوارزمية" في المناهج التعليمية، بحيث لا يُعلم الطفل فقط كيف يكتب ويسخدم البرامج، بل كيف يفكك هندستها الخفية.
- تحول دور الآباء من "شرطة شاشة" (تراقب الوقت فقط) إلى "ميسرين معرفيين" يناقشون الطفل في كواليس المحتوى الرقمي الموجه إليه.

إن تجليات "الوسائد الهوائية الرقمية" تعكس حتمية الانتقال من المقاربة الدفاعية السلبية إلى المقاربة الهجومية الاستباقية. لم يعد ممكناً منع الأطفال من دخول بيئة ما بعد الإعلام الجديد، ولكن تفعيل هذه الوسائد يضمن بقاء بنيتهم المعرفية مرنة وقادرة على الصمود وامتصاص صدمات التدفق الخوارزمي، مما يحمي الجيل القادم من التنميط والآلية الرقمية.

رابعا: تفعيل مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، المسجد، الجمعيات) كـ "وسائد بديلة

إن الانتقال من تشخيص واقع "اليُتم الرقمي" وتأثير "الوسائد الهوائية الرقمية" إلى تقديم بدائل سوسيولوجية وإجرائية، يقتضي صياغة رؤية إستراتيجية وطنية متكاملة تتجاوز منطق "المنع والرقابة التقليدية" نحو منطق "الأنسنة والتمكين الخوارزمي". تهدف هذه الإستراتيجية إلى تحويل البيئة الشبكية من أداة لإعادة إنتاج اللامساواة الطبقية والعزلة، إلى رافعة اجتماعية ومجالية تحقق العدالة الرقمية وتكافؤ الفرص بين جميع الأجيال الجديدة.

في ظل الحرمان الواقعي ومحدودية الرأسمال الثقافي في البيئات الهامشية، تبرز الحاجة إلى "تأميم الوسائد الرقمية" عبر تحويل مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية إلى مصدّات مجتمعية تعويضية لامتصاص الصدمات الخوارزمية:

1.المؤسسة التعليمية (المدرسة) :الانتقال بمناهج "الإعلام الآلي" من التعليم التقني السطحي (تشغيل الأجهزة وحزم البرامج) إلى تدريس **"المواطنة الخوارزمية النقدية** ."يتضمن ذلك إدراج ورشات تفكيكية لـ "اقتصاد الانتباه"، ومحاكاة آليات عمل خوارزميات التوصية، لتمكين الطلاب في المناطق المعزولة من فهم كواليس "فقاعات التصفية" وغرف الصدى التي تحبسهم داخل نمط استهلاكي سلبي.

2.المؤسسة الأسرية (الوعي التشاركي) :إطلاق برامج وطنية للإرشاد الأسري الرقمي تحت إشراف أخصائيين سوسيولوجيين ونفسيين، تستهدف أولياء الأمور في المناطق الحدودية والفقيرة. ترتكز هذه البرامج على تحويل دور الآباء من "شرطة شاشة" (مراقبة زمنية غير مجدية) إلى **"ميسرين معرفيين"**، من خلال تعليمهم مهارات الضبط الخوارزمي الأساسية للحسابات (إعدادات الأمان وحظر المحتوى الهابط)، لتعويض الفجوة الاستخدامية.

3.المجتمع المدني والجمعيات المحلية :تفعيل دور النوادي الثقافية والرياضية والجمعيات في المناطق الهامشية لتقديم "أنشطة فيزيائية بديلة" (رياضة، مسرح، مطالعة). تعمل هذه الأنشطة كـ "ديتوكس رقمي طبيعي" يُرمم شظايا الانتباه ويُعيد بناء **"الرأسمال الاجتماعي التلاحمي** (Bonding) **"**والجسري (Bridging) على أرض الواقع، لكسر حلقات التدفق الدوباميني الإدماني للألعاب الإلكترونية وجولات البث المباشر.

4.المؤسسة الدينية (المسجد) :(تجديد الخطاب الديني ليتواكب مع بيئة "ما بعد الإعلام الجديد"، عبر التركيز على أبعاد "الأخلاق الرقمية" ومخاطر السيولة السيبرانية، والتنبيه السلوكي لأولياء الأمور حول تداعيات التنازل عن السلطة التربوية لصالح "المربّي الخوارزمي البديل."

IV. الطرق والأدوات

1-المقاربة المنهجية: المقاربة اعتمدت الدراسة على المقاربة الكيفية**(Qualitative Approach)** القائمة على التصميم المقارن بين مجتمعين بحثيين: (أسر المناطق الحضرية الميسورة ذات الرأسمال الثقافي، مقابل أسر المناطق الهامشية والحدودية)،

تنطلق المقاربة المعتمدة من البراديغم التفسيري الفاهم، وذلك لملائمتها لطبيعة الظاهرة المدروسة وتفكيك المعاني العميقة لـ "الاغتراب الخوارزمي" والتفاعلات الأسرية.

2-تصميم الدراسة :تبنت الدراسة **التصميم المقارن(Comparative Design)** ، بهدف إجراء مقارنة سوسيولوجية ومجالية عميقة بين مجتمعين بحثيين متمايزين:

1. **المجتمع البحثي الأول :**أسر المناطق الحضرية الميسورة ذات الرأسمال الثقافي والاقتصادي العالي.
2. **المجتمع البحثي الثاني :**أسر المناطق الهامشية والحدودية (ولاية تبسة أنموذجاً) التي تعاني من حرمان مجالي ومحدودية في الرأسمال الثقافي.

3-آداة الدراسة :تم الاعتماد على **دليل المقابلة المتعمقة (In-depth Interview)** كأداة رئيسية لجمع البيانات الكيفية من المبحوثين، مستهدفةً رصد التمثلات، والممارسات اليومية، وآليات التوجيه أو الانعزال داخل البيئة الرقمية لما بعد الإعلام الجديد.

V. مجتمع وعينة مجتمع وعينة الدراسة

تم اختيار عينة كيفية قصدية تمثلت في (15 من أولياء الأمور بولاية تبسة الحدودية) لإجراء مقابلات معمقة وتتبع ظاهرة اليُتم الرقمي، توزعت عينة الدراسة ميدانياً بين بيئتين سوسيو-مجاليتين بالجزائر؛ الأولى تمثل أسر الحضر الميسورة القاطنة بالأحياء الحديثة (بوسط المدينة)، والتي يرتفع فيها الرأسمال الثقافي والاقتصادي للأولياء، والثانية تمثل أسر البيئات الحدودية الهامشية المعزولة بـ **ولاية تبسة (بالشرق الجزائري، بالتطبيق على بلديات الكويف وبوشبكة الحدوديتين)** حيث يتقاطع الحرمان المجالي والفيزيائي مع تراجع شبكات الأمان والمرافق المدنية الواقعية، مما يدفع مراهقي هذه المناطق إلى الارتماء الكامل في فضاء التدفق الخوارزمي الاستهلاكي السلبي تعويضاً عن عزلتهم الجغرافية."

1-مبررات الإختيار

1-1-المبرر الأبستمولوجي والمفاهيمي: اقتضى تطور "بيئة ما بعد الإعلام الجديد" تحديث البراد يغم السيسيولوجي ، فالنماذج الكلاسيكية للفجوة الرقمية استهلكت جهدها في قياس مؤشرات "الوصول والامتلاك" (Dijk، 2020، صفحة 105). وتأسيساً عليه، غدا مصطلح "اليُتم الرقمي" هو الأداة التفسيرية الأكثر كفاءة لتفكيك آليات إنتاج اللامساواة المعاصرة.

1-2-المبرر الميداني والواقعي: تبلور هذا المبرر من خلال الملاحظة بالمشاركة والمعايشة اليومية للفجوة السلوكية والمعرفية المقلقة بين الأجيال الجديدة في الجزائر؛ حيث رصدت الدراسة تحولاً حاداً في طبيعة استهلاك المراهقين للبيئة الرقمية تبعاً لتغير جغرافيتهم السكنية ورأسمالهم الأسرى. ففي الوقت الذي تشهد فيه الحواضر الكبرى ممارسات رقمية مُوجّهة ومُستثمرة، تفتقر المناطق الهامشية والحدودية **ولا سيما البلديات الحدودية لولاية تبسة بالشرق الجزائري (مثل الكويف وبوشبكة)** إلى أدنى المرافق التنموية والفيزيائية البديلة (كالنوادي الثقافية، الفضاءات الرياضية، والمكتبات). هذا الحرمان المجالي والفيزيائي الحاد على أرض الواقع، فرض على الأسر الهامشية نوعاً من التنازل القسري عن السلطة الضبطية لصالح الشاشات التفاعلية، كآلية بديلة "لكف أذى الشارع" وحبس الأبناء منزلياً. وبناءً عليه، يكتسي النزول للميدان أهمية قصوى لتشخيص كواليس هذا "الإنقاذ الوهمي" وتفكيك آلياته، والرصد الدقيق لكيفية تحول المنصات الخوارزمية (مثل التيك توك والألعاب الإدمانية) إلى فضاءات بديلة للاستلاب، مستغلةً "الأمية التكنولوجية" للأولياء وضغوطهم المعيشية، مما جعل البحث الميداني ضرورة ملحة للوقوف على حجم "اليُتم الرقمي" في هوامش المجتمع.

1-3-المبرر المنهجي: يمتلك مفهوم "اليُتم الرقمي" قدرة تشريحية ونوعية تمنح المقاربة الكيفية عمقاً فاهماً بالمعنى الفيبري (Verstehende)، مما يتيح سبر أغوار الاغتراب الخوارزمي للمراهقين (boyd، 2014، الصفحات 118-119)

2-كيفية اختيار المفردات بدقة ميدانية

2-1- تحديد معايير الشمول والاستبعاد (Inclusion/Exclusion Criteria)قبل النزول للميدان،
تم وضع شروط صارمة لمن يحق له دخول العينة:

شرط الأبوة/الأمومة الفعالة: أن يكون المبحوث ولي أمر (أب أو أم) يعيش مع الأبناء في نفس النسق الأسري.عمر الأبناء: أن يكون لدى الأسرة على الأقل ابن واحد في مرحلة المراهقة النمائية والتمدرس (12 - 18 سنة)، لأنها المرحلة الأكثر تأثراً بالفضاء الخوارزمي (Boyd, 2014).

حيازة التكنولوجيا: أن يمتلك المراهق داخل الأسرة وصولاً مستقلاً أو شبه مستقل للهاتف الذكي وشبكة الإنترنت

2-2-إستراتيجية الوصول الميداني واختيار المفردات

نظراً لكون الدراسة تقوم على المقارنة بين بيئتين سوسيو-مجاليتين متمايزتين، فقد استوجب ذلك تبني استراتيجيات مرنة ومزدوجة للوصول إلى المبحوثين وتجاوز عقبات الحقل الميداني، وفق التقسيم التالي:

1-2.2 مجموعة المناطق الهامشية والحدودية (08 حالات - لتشخيص اليُتم الرقمي)

واجهت الدراسة في هذه البيئة تحفظاً اجتماعياً ملحوظاً من طرف أولياء الأمور، والذين أظهروا توجساً بدئياً من الحديث عن خصوصيات أبنائهم المراهقين أو تمثلاتهم حول التقصير في الدور الرقابي الأسري. ولتجاوز هذا العائق الميداني، تم الاعتماد على آليتين:

المفتاح المحلي (Key Informants): تم التنسيق مع أحد الناشطين الفاعلين في المجتمع المدني والجمعيات المحلية بالمنطقة، مما وفر للباحث "غطاءً اجتماعياً" مبنياً على الثقة، ويسّر عملية تذليل العقبات وتحديد الأسر التي تواجه تحديات حقيقية وملموسة مع أبنائها في هذا الفضاء.

كرة الثلج المقيدة سوسيولوجياً (Purposive Snowball Sampling): بعد بناء جسور الثقة مع الحالة الأولى وإجراء المقابلة معها بنجاح، طُلب منها التوسط لدى أولياء أمور آخرين من المحيط العائلي أو الجواري يتقاسمون ذات الخصائص السوسيو-اقتصادي والتحديات الرقمية، مما سمح بتأمين الوصول إلى باقي الحالات بسلاسة.

2-2.2 مجموعة المناطق الحضرية الميسورة (07 حالات - لتقصي الوسائد الرقمية)

اتسم الوصول إلى هذه الفئة بمرونة أكبر بالنظر إلى طبيعة وارتفاع حجم الرأسمال الثقافي والاقتصادي السائد لديهم، وتم تبني إستراتيجية:

الاختيار المؤسساتي القصدِي: تم استهداف أولياء الأمور عبر قنوات مؤسساتية متخصصة مثل: (نوادي الذكاء الاصطناعي والروبوتيك للأطفال، مدارس اللغات والبرمجيات الخاصة)، حيث تتواجد الأسر الواعية التي تعمل بوعي واستثمار سوسيو-ثقافي على توجيه الاستهلاك الرقمي لأبنائها نحو الممارسات المنتجة لبناء رأسمال معرفي وشبكي.

4. مصفوفة تنوع عينة الدراسة (Sampling Matrix)

تم ضبط البايانات السوسيو-مهنية والثقافية للمبحوثين الـ 15 في مصفوفة علمية وزعت الحالات بدقة (ح1 إلى ح15) بين البيئات الحضرية والريفية الهامشية. واقترنت الدراسة ببروتوكول أخلاقي صارم ارتكز على التجهيل الكامل للبيانات، وتحوير سياق المقابلة من سياق "المحاكمة التقويمية" للأولياء إلى تأطير تنموي تشاركي يهدف رفع انشغالاتهم لصناع القرار.

لضمان التماسك المنهجي وضبط التباينات السوسيو-مهنية والثقافية والمجالية بين مفردات العينة (15 حالة)، تم توزيع المبحوثين وفق المصفوفة العلمية التالية:

جدول (1) : توزيع عينة الدراسة الميدانية حسب المجموعات التفسيرية والمتغيرات السوسيو-مجالية والثقافية (N = 15)

المجموعة التفسيرية	الرموز الإجرائية	جنس المبحوث	المستوى التعليمي	طبيعة البيئة السكنية والمجالية
أسر "اليُتم الرقمي" (08 حالات)	من (ح1) إلى (ح4) من (ح5) إلى (ح8)	04 آباء 04 أمهات	أمي / ابتدائي / متوسط ثانوي (محدودية الرأسمال الثقافي)	قرية حدودية معزولة / تجمع ريفي / حي هامشي معزول
أسر "الوسائد الرقمية"(07 حالات)	من (ح9) إلى (ح12) من (ح13) إلى (ح15)	04 آباء 03 أمهات	جامعي / ماستر / دكتوراه (إطارات عليا، أساتذة، مهندسون)	وسط المدينة / مجمع سكني حديث / حي راقٍ

المصدر: الجدول من إعداد الباحث بناءً على بيانات الدراسة الميدانية وأدواتها الكيفية المقابلة لـ (15) حالة من أولياء الأمور) .ح) *تشير إلى الرمز الإجرائي للحالة المبحوثة.*

يُظهر الجدول رقم (1) فرزاً سوسيولوجياً واضحاً لعينة الدراسة الكيفية إلى مجموعتين تفسيريتين متمايزتين، تعكسان بدقة كيف يساهم التفاوت في الرأسمال الثقافي والمجالي في تشكيل فجوة رقمية عميقة بين الأسر، ويمكن تفكيك هذا التمايز عبر الأبعاد التالية:

1. من فجوة الامتلاك إلى "فجوة العوائد والاستخدام" :

تكشف المقارنة بين المجموعتين أن المسألة لم تعد تتعلق بـ "الوصول" إلى التكنولوجيا (إذ إن المجموعتين تمتلكان أدوات رقمية)، بل بـ "نوعية العائد الرقمي" المترتبط بالخلفية التعليمية (الرأسمال الثقافي)

أسر "الوسائد الرقمية" (المستوى الجامعي/العالي): يتيح لها رأس مالها المعرفي والمهني (أساتذة، مهندسون) ممارسة دور "الموجّه الخوارزمي" لأبنائها. التكنولوجيا هنا تُستثمر كأداة لبناء المعرفة ورأس المال الاجتماعي والفرص المستقبلية، مما يشكل "وسادة هوائية" تحمي الأبناء سيكولوجياً ومعرفياً.

أسر "اليُتم الرقمي" (المستوى المحدود/الأمي): تعاني من "محدودية الرأسمال الثقافي"، مما يمنع الأولياء من ممارسة رقابة واعية أو توجيه ذكي للأبناء داخل البيئات الرقمية. الإنترنت هنا يتحول من أداة تمكين إلى فضاء للاستهلاك السلبي، والعزلة، والتيه الخوارزمي، وهو ما يعمق حالة "اليُتم الرقمي".

2. الحتمية المجالية وإعادة إنتاج العزلة (الرأسمال المجالي):

يتضح من الجدول وجود تلازم بنيوي بين العزلة الجغرافية والعزلة الرقمية والخوارزمية:

القاطنون في (القرى الحدودية والمعزولة والأحياء الهامشية) يفتقرون في الأصل إلى "رأس المال الاجتماعي الجسري" (بالمفهوم البوتنامي) في الواقع بسبب غياب الفضاءات الثقافية والترفيهية والمدنية. هذا الحرمان المجالي يدفع الشباب دفعاً نحو الارتماء الكامل في شاشات الهواتف كبديل تعويضي، لكنه ينتهي بهم إلى "عزلة رقمية مضاعفة" ومحاصرة بخوارزميات الاستهلاك.

بالمقابل، المجمعات السكنية الحديثة والأحياء الراقية توفر بيئة واقعية مساندة تتكامل مع الاستخدام الرقمي المنظم والواعي، مما يمنع تحول التكنولوجيا إلى أداة عزلة واغتراب.

3. التوازن الجندري في العينة

يُلاحظ أن العينة حافظت على توازن مرن في توزيع الأدوار بين (الآباء والأمهات) في كلا المجموعتين (4 آباء و4 أمهات في المجموعة الأولى، و4 آباء و3 أمهات في الثانية). هذا التوازن يمنح الدراسة مصداقية تفسيرية أعمق، حيث لا تُعزى النتائج لمتغير الجنس أو غياب أحد الأبوين، بل تُعزى بشكل قطعي إلى المتغيرات البنيوية الأساسية: المستوى التعليمي (الثقافي) والبيئة السكنية (المجالية).

5. الميثاق الأخلاقي للبحث وكسب الثقة (Rapport Building)

ارتكزت المقابلات المتعمقة على بروتوكول أخلاقي صارم لتبديد مخاوف المبحوثين وضمان تدفق بيانات كيفية صادقة، وتم ذلك عبر خطوتين:

ضمانة التجهيل والسرية التامة: تم التعهد والتأكيد للأولياء بأن البيانات والهويات الشخصية لن تظهر في متن الدراسة أو أمام اللجان العلمية، وسيتم الاستعاضة عنها بالرموز الإجرائية المحددة في مصفوفة التنوع (ح1، ح2...).

التأطير التنموي التشاركي للمقابلة: تم إخراج المقابلة من سياق "المحاكمة التقيمية" لأدوارهم التربوية، وتأطيرها سياقياً كدراسة علمية تهدف إلى نقل انشغالات أسر المناطق الهامشية وتحدياتها المعاصرة لصناع القرار، بغرض المساهمة في رسم استراتيجيات وطنية لبناء شبكات أمان رقمية بديلة.

VI. التحليل الكيفي لبيانات الدراسة الميدانية (Qualitative Data Analysis)

بناءً على المنهج السوسيولوجي الفاهم (Verstehende)، خضعت المادة اللفظية المجمّعة من المقابلات الـ 15 المتعمقة لعملية تحليل محتوى كيفي صلب عبر إستراتيجية الترميز الموضوعاتي (Thematic Coding)، وتمت هذه العملية عبر ثلاث خطوات متسلسلة:

1. التفريغ الحرفي (Transcription): تحويل التسجيلات الصوتية والملاحظات الميدانية للمقابلات إلى نصوص مكتوبة بالكامل مع الحفاظ على التعبيرات العفوية للمبحوثين.

2. الترميز المفتوح (Open Coding): استخراج الوحدات الدالة وتصنيف العبارات المتكررة حول المؤشرات الفرعية (الرقابة الوالدية، الحصار الخوارزمي، العزلة، الحرمان المجالي).

3. المقارنة المتقاطعة للحالات (Cross-Case Analysis): تقسيم وتحليل المادة النصية بناءً على مصفوفة التنوع (أسر الوسط الحضري الميسور مقابل أسر المناطق الهامشية والحدودية بالشرق الجزائري) لتفكيك آليات إعادة إنتاج اللامساواة الاجتماعية.

VI. نتائج الدراسة

أسفرت عملية التحليل الموضوعاتي الكيفي للمقابلات المتعمقة عن أربع نتائج محورية تفسر الإشكالية المطروحة:

1.الوسائد الهوائية الرقمية كامتياز طبقي بنيوي: أثبتت الدراسة أن الرأسمال الثقافي والتعليمي المرتفع للوالدين في البيئات الحضرية الميسورة يتحول تلقائياً إلى "موجّه خوارزمي" ذكي. هذه الأسر نجحت في تفعيل "وسائد" تقنية ومعرفية تحمي الأبناء من صدمات التدفق الشبكي، وعملت على تحويل الهاتف من أداة استهلاك سلبي إلى أداة استثمار استراتيجي لإنتاج المعرفة ورأس المال الرمزي.

2.تلازم الحرمان المجالي واليُتم الرقمي في الهوامش: كشفت النتائج أن المراهقين في المناطق الحدودية والفقيرة يقعون ضحية لـ "يُتم رقمي وخوارزمي" مزدوج؛ حيث تتقاطع الأمية التكنولوجية للأولياء وضغوطهم المعيشية مع غياب الفضاءات التنموية (الفيزيائية) في الواقع، مما دفع الآباء للتنازل عن سلطتهم التربوية لصالح الشاشة كمربٍّ بديل لضمان كفّ أذى الشارع، تاركين الأبناء صيداً سهلاً لخوارزميات منصات البث المباشر.

3.تآكل الجسور الاجتماعية وازدهار الروابط المغلقة: بينت المقابلات تراجع "الرأسمال الاجتماعي الجسري" (Bridging Capital) المنفتح عابراً للجغرافيا لصالح "الروابط الخوارزمية المغلقة" (Algorithmic Bonding). هذا الانغلاق حاصر مراهقي المناطق الهامشية داخل "غرف صدى" وفقاعات تصفية، وعرّضهم للاغتراب الثقافي وتبني سلوكيات وافدة قوضت استقرار النسق الأسري.

4.تحول الفجوة الرقمية من "الامتلاك" إلى "العوائد": أكدت الدراسة ميدانياً أن اللامساواة الرقمية المعاصرة (الجيل الثاني والثالث) لم تعد ترتبط بامتلاك الأجهزة؛ إذ إن الكل يتصل بالإنترنت، وإنما تبلورت الفجوة في "نوعية العائد الخوارزمي"؛ حيث يُعيد الإعلام الجديد فرز المجتمع إلى: نُخب رقمية مستثمرة، وقاعدة هامشية مستهلكة ومستنزفة في "اقتصاد الانتباه".

خاتمة

تأسيسًا على ما أسفرت عنه المقاربة النظرية والميدانية، يمكن القول إن بيئة ما بعد الإعلام الجديد قد أجهضت التوقعات المتفائلة للأدبيات التكنولوجية الأولى التي بشّرت بالإنترنت كأداة ديمقراطية تذيب الفوارق الطبقية. إن هذه الدراسة، بإسقاطها لأطروحة روبرت بوتنام (*Our Kids*) على الفضاء الافتراضي، قد برهنت على أن الخوارزميات والذكاء الاصطناعي يشتغلان اليوم كامتداد بنيوي وهندسة خفية تعيد إنتاج اللامساواة الطبقية القائمة في الواقع بل وتُضخّمها.

لقد تحول الرأسمال الثقافي والمجالي للأسر إلى عامل حاسم في تحديد مصير الأبناء الرقمي؛ فبينما تحمي "الوسائد الهوائية الرقمية" أبناء المحظوظين سوسيولوجياً وتدفع بهم نحو الارتقاء المعرفي والمهني، تترك خوارزميات المنصات التفاعلية الاستهلاكية أبناء الهامش في حالة "يُتم رقمي" يقودهم إلى عزلة مضاعفة واغتراب سلوكي يعيق ترقيهم الطبقي.

توصيات واستشراف: إن مواجهة هذه الفجوة الشبكية العميقة تتطلب الانتقال الفوري من المقاربات الدفاعية التقليدية (القائمة على الرقابة البوليسية والمنع) إلى مقاربة هجومية استباقية ومؤسساتية. توصي الدراسة بصياغة **إستراتيجية وطنية لبناء شبكات أمان رقمية مجتمعية** تشمل:

- إلزام الشركات التكنولوجية تشريعياً بهندسة خوارزميات صديقة للطفل (*Design by Child-Safety*).
- إدراج "المواطنة الخوارزمية النقدية" في المناهج التعليمية لتمكين الأطفال من تفكيك اقتصاد الانتباه.
- تفعيل مؤسسات التنشئة البديلة (المدرسة، الجمعيات المحلية) في المناطق الهامشية لتلعب دور "الوسادات الرقمية والمعرفية التعويضية"، مما يحول التكنولوجيا إلى رافعة اجتماعية (*Social WD-40*) تُخرج الشباب من غرف الصدى المغلقة إلى آفاق التمكين المعرفي والارتقاء الطبقي الفعلي.

قائمة المراجع

- **Boyd, d. (2014).** *It's Complicated: The Social Lives of Networked Teens*. Yale University Press.
- **Fuchs, C. (2021).** *Social Media: A Critical Introduction* (3rd ed.). SAGE Publications.
- **Pariser, E. (2011).** *The Filter Bubble: How the New Personalized Web Is Changing What We Read and How We Think*. Penguin Books.
- **Putnam, R. D. (2000).** *Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community*. Simon & Schuster.
- **Putnam, R. D. (2015).** *Our Kids: The American Dream in Crisis*. Simon & Schuster.
- **Van Dijk, J. (2020).** *The Digital Divide*. Polity Press.